من تراث الكوثرى
٣

الحاوى

فى سيرة الإمام أبى جعفر الطحاوى
رضى الله عنه

بقلم

صاحب الفضيلة مولانا الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً



١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

من تراث الكوثري
٣

الحاوي

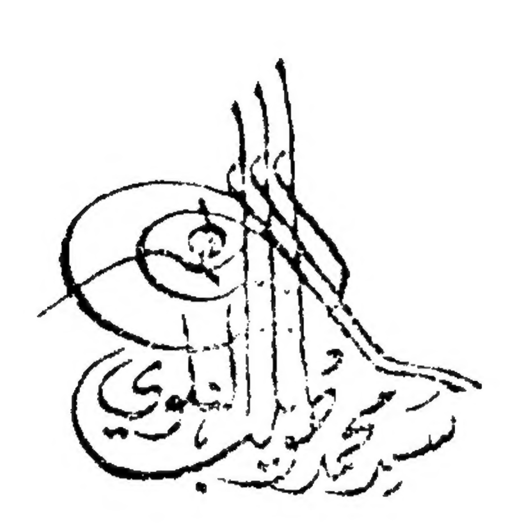
في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي
رضي الله عنه

بقلم

صاحب الفضيلة مولانا الشيخ

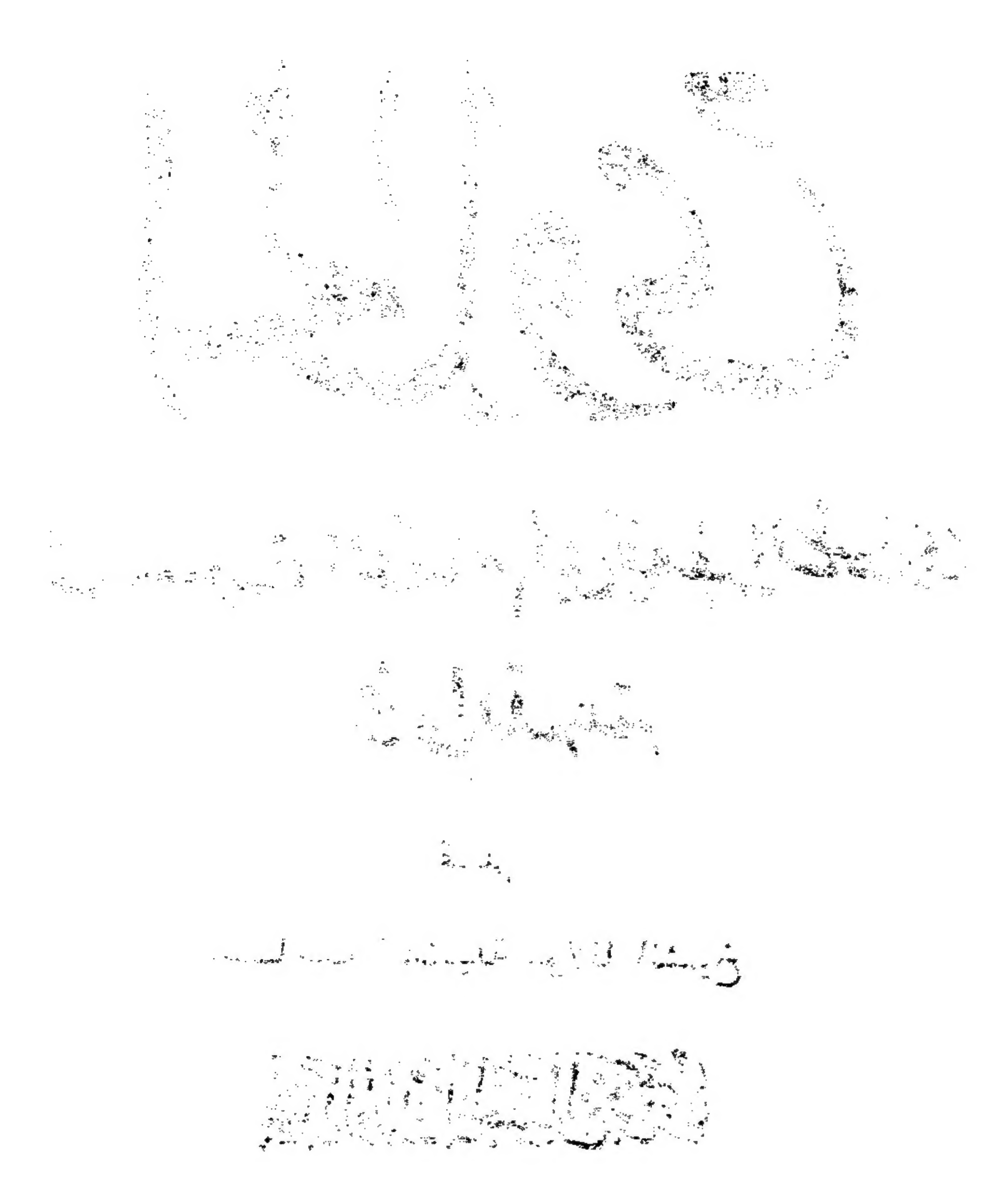
محمد زاهد بن الحسن الكوثري

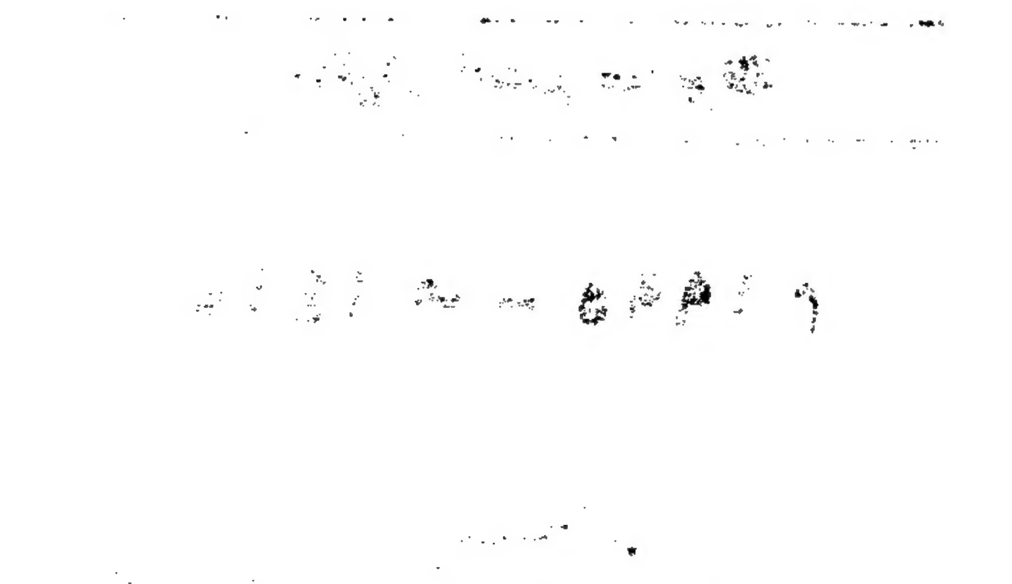
وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية سابقا



١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧







بسم الله الرحمن الرحيم

xxxxxxxxxx

الحمد لله الذى رفع مقام العلماء العاملين ، فى الأولين والآخرين ، وشرف قدرهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وكافأهم مكافأة المحسنين ، بخدمتهم فى الدين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فان الامام أبا جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى رضى الله عنه من أعاظم المجتهدين فى الفقه الاسلامى ، وقد خلف مؤلفات عظيمة النفع للغاية ، فى علوم الرواية والدراية . وقد جمع بين براعتين : البراعة فى علوم الحديث والبراعة فى الفقه وأصوله جمعاً قل من جمع بينهما جمعه فى علماء هذه الأمة ، كما يعترف بذلك من نهل من مناهل آثاره الفياضة ، فأحببت افراد ترجمته بنوع من الافاضة ، فى رسالة سميتها : (الحاوى فى سيرة الامام أبى جعفر الطحاوى) رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه ، عرفانا لجميله ، وقياما ببعض ما يجب فى تبجيله ، والله سبحانه ولى التوفيق ، والهادى الى أقوم طريق .

نسب الطحاوى وميلاده

عداده فى حجر الأزد من قبائل اليمن سكن أجداده مصر بعد الفتح الاسلامى ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من أفخاذ قبيلة الأزد المعروفة ، ويقال للأزد هذه أزد الحجر تمييزاً لها من أزد شنوءة والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاى لها أفخاذ كثيرة شرحها فى كتب أنساب العرب ، وقد ساق مسلمة بن القاسم القرطبى نسب أبى جعفر الطحاوى فى كتابه المعروف بالصلة لكونه ذيلا لتاريخ البخارى الكبير فقال : هو (أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة

ابن سليم بن سليمان بن جواب الأزدى ثم الحجر المصرى الطحاوى الامام المحدث الفقيه الحنفى الحافظ أبو جعفر) .

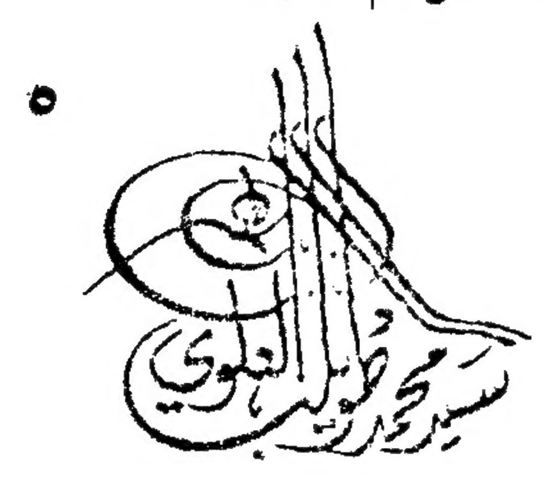
ووقف الحافظ ابن عساكر فى سوق نسبه عند سليم . وابن خلكان عند عبد الملك . واختلفوا فى ميلاده ، فقال ابن عساكر نقلا عن ابن يونس أنه ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وعليه اقتصر الذهبى وأبو المحاسن لكن قال البدر العينى فى نخب الأفكار : (قال السمعانى : ولد الطحاوى سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح.وقال أبو سعيد بن يونس : قال الطحاوى ولدت فى سنة تسع وعشرين) ، وهذا يخالف ما حكاه ابن عساكر عن ابن يونس ، وتاريخ ابن يونس من التواريخ التى لم نظفر بها ولابد أن أحدهم وهم الا أن الثانى بخط المؤلف وقال ابن خلكان : وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين . وقال أبو سعد السمعانى : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح ، وزاد غيره ، فقال : ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول) . وقال ابن كثير : (أبو جعفر الطحاوى ، نسبة الى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفى صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة وهو ابن أخت المزنى ... وذكر أبو سعد السمعانى أنه ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم) هكذا اقتصر ابن كثير على هذا الميلاد كما فعل ابن نقطة الحافظ فى « التقييد لمعرفة رواة المسانيد » وذكر أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وقال البدر العينى : (فعلى هذا كان عمر الطحاوى حين مات أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح سبعاً وعشرين سنة لأن البخارى مات سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان عمره حين مات مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح اثنين وثلاثين سنة لأن مسلماً مات فى سنة احدى وستين ومائتين ، وشاركه الطحاوى فى روايته ــ عن بعض شيوخه ــ وكان عمره حين مات أبو داود صاحب السنن ستاً وأربعين سنة لأن أبا داود مات

فى سنة خمس وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته — عن بعض شيخوخه — وكان عمره حين مات أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى صاحب الجامع خمسين سنة ، لأن الترمذى مات فى سنه تسع وسبعين ومائتين ، وكان عمره حين مات أحمد بن شعيب بن على النسائى أربعاً وسبعين سنة لأن النسائى مات فى سنة ثلاثة وثلاثمائة وشاركه أيضاً فى روايته ، وروى الطحاوى عنه أيضاً ، وكان عمره حين مات محمد بن يزيد بن ماجه صاحب السنن أربعاً وأربعين سنة لأن ابن ماجه مات فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته — عن بعض شيوخه — وكان عمره حين مات الامام أحمد بن حنبل رحمه الله اثنتى عشرة سنة لأن أحمد مات سنة احدى وأربعين ومائتين ، وكان عمره حين مات يحيى بن معين أربع سنين ، لأن يحيى بن معين مات سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين ، وهذا كله على القول الصحيح أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكذا ذكر مولده الحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر بن نقطة البغدادى فى كتابه التقييد لمعرفة رواة المسانيد)[1] فى باب الأحمدين فى ترجمة أبى جعفر الطحاوى .

فهكذا كما رأيت لقد عاصر الطحاوى هؤلاء الأئمة الحفاظ الكبار وشارك بعضهم فى روايتهم ، فان من جملة مشايخ الطحاوى هارون بن سعيد الايلى . وقد روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قال الحافظ عبد الغنى (المقدسى) فى الكمال فى ترجمة هارون بن سعيد : روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو حاتم ، ومن جملة مشايخه الربيع بن سليمان الجيزى . وقد روى عنه أبو داود والنسائى ، قال فى الكمال : الربيع بن سليمان الجيزى المصرى الأعرج روى عنه أبو داود والنسائى وعبد الله بن حمدان وأبو جعفر الطحاوى) ثم قال : (وستقف قلى مثل هذا كثيراً فى أثناء الكتاب عند ذكر مشايخ أبى جعفر الطحاوى الذين روى عنهم وكتب وحدث) .

---

(١) وهو من محفوظات مكتبة الأزهر ، وفيه خروم (ز) .



كثرة شـيوخ الطحاوى فى العلم

وكثرة تلاميذه والرواة عنه

وقد جمع مشايخ الطحاوى فى جزء واحد عبد العزيز بن أبى طاهر التميمى ، فمن شيوخه خاله المزنى وقد سمع منه كثيراً وروى عنه سنن الشافعى ، قال ابن يونس سـمع الطحاوى من خاله المزنى كثيراً وروى عنه مسند الشافعى ، قال العينى : قلت وروايته عنه كثيرة فى تصانيفه . ولا سيما فى معانى الآثار وأن غالب من يروى مسند الشافعى الى يومنا هذا يروون عن طريقه . أ هـ . أقول ان الأحاديث المروية عن الشافعى بطريق الطحاوى هى من جمع الطحاوى من مسـموعاته من المزنى عن الشـافعى رضى الله عنه فيعرف هذا المجموع بسنن الشـافعى وسنن الطحاوى وله نسخ فى غاية الصحة وعليها خطوط التسميع طبقة فطبقة منها النسخة المحفوظة فى مكتبة أبا صوفيا بالآستانة ، والنسخة المطبوعة جيدة أيضاً الا أن ما جمعه ابن مطر النيسابورى من مسـموعاته من أبى العباس الأصم صاحب الربيع المرادى عن الربيع عن الشافعى مما هو مسموعه فى كتاب الأم ففى حاجة ماسة الى التهذيب والاصلاح ، فقام بذلك الحافظ محمد عابد السندى فى كتابه (ترتيب مسند الشافعى) حيث رتبه وحذف المكرر منه فأصبح هذا العمل منه نافعاً والله سبحانه يكافئه على هذا ، فنتمنى أن يقوم بعض أهل الشأن بنشر هذا المسند المرتب المهذب ليعم نفعه ، لأن ما سبق طبعه من مسند الشافعى من رواية أبى العباس الأصم فى الهند ومصر لا يخلو من أغلاط فظيعة . وقال ابن عسـاكر فى تاريخه فى ترجمة الطحاوى : سمع هارون بن سعيد الايلى ، وأبا شريح محمد بن زكريا كاتب العمرى وأبا عثمان سعيد بن بشر بن مروان الرقى ، والربيع بن سليمان الجيزى ، وأبا الحارث أحمد ابن سعيد الفهرى ، وعلى بن معبد بن نوح ، وعيسى بن ابراهيم الغفاقى ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبا قرة محمد بن حميد الرعينى ، ومالك بن

عبد الله التجيبى ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وابراهيم بن منقذ الخولانى ، وابراهيم بن مرزوق ، وبحر بن نصر الخولانى ، وسليمان بن شعيب الكيسانى وجماعة غير من سميت . وقال ابن عساكر فى ترجمة النسائى : ان الطحاوى روى عن النسائى ، وقال أبو سعيد بن يونس : سمع الطحاوى الحديث من خلق من المصريين والغرباء القادمين الى مصر ، منهم : سليمان بن شعيب الكيسانى ، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفى ، وقال البدر العينى : شارك فيه مسلما وغيره وقال عبد الغنى فى الكمال : يونس بن عبد الأعلى الصدفى أبو موسى المصرى روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وابنه عبد الرحمن ومسلم والنسائى وابن ماجه . وروى عن الطحاوى خلق كثير وقد أفرد بعض أهل العلم ، الذين رووا عنه بالتأليف فى جزء ، فمن أخذ عنه أبو الحسن على بن أحمدا الطحاوى ، وأبو محمد عبد العزيز بن محمد التميمى الجوهرى قاضى الصعيد ، وأبو بكر مكى بن أحمد بن سعدوية البردعى ، وأبو القاسم مسلمة بن القاسم بن ابراهيم القرطبى ، وأبو القاسم عبيد الله بن على الداودى القاضى شيخ أهل الظاهر فى عصره ، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصرى الفقيه ، وابن أبى العوام القاضى الكبير ، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمى ، وميمون بن حمزة العبيدلى ، ويوسف بن القاسم الميانجى ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، ومحمد بن بكر بن مطروح ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغانى الأنصارى القاضى ، وأبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر وغيرهم . وروى عنه من المشايخ الأجلاء الأثبات : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى صاحب المعجم ، والحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصرى صاحب التاريخ ، والحافظ المقيد أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادى ، المعروف بغندر ، والحافظ أبو بكر محمد بن ابراهيم بن على المقرىء — سمع منه كتاب معانى الآثار . وهو راويته فى أسانيد الرواة على توالى الطبقات — والحافظ أحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادى المعروف بابن الخشاب ، والحافظ محمد



ابن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادى ـ سمع منه بمصر سنن الشافعى بروايته عن خاله اسماعيل بن يحيى المزنى ، كذا قال الحافظ ابن نقطة فيما ذكره البدر العينى .

***

سرد أسماء شيوخ الطحاوى
على ترتيب الحروف

(أ) : ابراهيم بن أبى داود البرلسى ، ابراهيم بن منقذ الخولانى ، ابراهيم بن محمد الصيرفى ، ابراهيم بن مرزوق البصرى ، ابراهيم بن على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ، ابراهيم بن أحمد بن مروان ، أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفى ، أحمد بن داود بن موسى السدوسى ، أحمد بن سهل الرازى ، أحمد بن أصرم المزنى ، أحمد بن مسعود المقدسى ، أحمد بن سعيد الفهرى ، أحمد بن محمد بن حماد أبو بشر الدولابى ، أحمد بن يوسف ، أحمد بن خالد بن يزيد الفارسى ، أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى ، أحمد بن حماد التجيبى ، أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، أحمد بن محمد بن سلام البغدادى ، أحمد بن محمد بن بشار ، أحمد بن خلف ، أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، أحمد بن شعيب النسائى ، أحمد بن عبد المؤمن المروزى ، أحمد بن أبى عمران موسى البغدادى ، اسحاق بن ابراهيم بن يونس البغدادى الوراق ، اسحاق بن اسماعيل الايلى ، اسحاق بن الحسن بن الحسين الطحان المروزى ، اسماعيل بن اسحاق بن سهل الكوفى ، اسماعيل بن حمدويه البكائى ، اسماعيل بن يحيى المزنى خاله .

(ب) : بحر بن نصر بن سابق الخولانى ، بكار بن قتيبة البصرى ، بكر بن ادريس بن الحجاج بن هارون الأزدى .

(ج) : جعفر بن سليمان بن محمد الهاشمى ، جعفر بن أحمد بن الوليد الأسلمى .

(ح) : الحجاج بن عمران المازنى ، الحسن بن عبد الله بن منصور البالسى ، الحسن بن عبد الأعلى الصنعانى ، الحسن بن سعيد الأزدى ، الحسين بن نصر بن المبارك البغدادى ، حكيم بن سيف الرقى .

(ر) : الربيع بن سليمان الأزدى الجيزى ، الربيع بن سليمان المرادى ، روح بن الفرج أبو الزنباع .

(ز) : زكريا بن يحيى بن أبان .

(س) : سعيد بن بشر بن مروان الرقى ، سعيد بن سليمان الواسطى ، سليمان بن شعيب الكيسانى .

(ص) : صالح بن حكيم التمار البصرى ، صالح بن شعيب بن أبان البصرى ، صالح بن عبد الرحمن الأنصارى .

(ط) : طاهر بن عمرو بن الربيع بن طارق .

(ع) : عبد الله بن محمد بن خشيش البصرى ، عبد الله بن أبى داود ، عبد الرحمن بن عمرو الدمشقى أبو زرعة ، عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبى مريم ، عبد الرحمن بن الجارود بن عبد الله بن زادان الكوفى ، عبد العزيز بن معاوية الغسانى ، عبد الملك بن مروان الرقى ، عبد الله بن أحمد بن زكريا بن الحارث بن أبى ميسرة المكى ، عبد الغنى ابن رفاعة اللخمى ، عبيد بن رجال المصرى ، على بن شيبة البصرى ، على بن معبد بن نوح ، على بن سعيد بن بشر الرازى ، على بن عبد العزيز صاحب أبى عبيد — وبطريقه يروى قراءات عاصم والأعمش وحمزة والكسائى اجازة — على بن أحمد بن سليمان ، على بن الحسين ابن عبد الرحمن بن فهم ، على بن زيد الفرائضى ، على بن عبد الرحمن ابن محمد بن المغيرة المخزومى علان ، على بن عبد الرحمن الأنصارى ، عمران بن موسى الطائى . عمر بن ابراهيم بن يحيى البغدادى ،



عيسى بن ابراهيم بن مثرود الغافقى ، عبد الحميد بن عبد العزيز القاضى أبو خازم .

(ف) : فهد بن سليمان المكى .

(ق) : القاسم بن عبيد الله بن مهدى الأخميمى ، القاسم بن محمد ابن جعفر البصرى .

(ل) : الليث بن عبدة بن محمد المروزى .

(م) : محمد بن سليمان بن هشام الخزاز (اليشكرى) ، مبشر بن الحسن بن مبشر البصرى ، محمد بن على بن داود البغـدادى ، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . محمد بن سنان الشيزرى ، محمد بن خزيمة بن راشد الأسدى ، محمد بن جعفر الفريابى ، محمد بن عمرو ابن يونس الكوفى ، محمد بن حرملة ، محمد بن أحمد بن العبـاس الرازى اجازة ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادى ، محمد بن على ابن زيد المكى ، أبو بكر محمد بن ابراهيم بن جنادة البغدادى ، محمد بن حميد بن هشام أبو قرة الرعينى ، محمد بن أحمد الكوفى أبو العلاء ، محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ المكى ، محمد بن الحجاج بن سليمان الحضرمى ، محمد بن على بن داود البغدادى ، المطلب بن شعيب بن حبان الأزدى ، محمد بن زكريا كاتب العمرى ، محمد بن عبد الرحمن الهروى ، محمد بن ربيعة المكى ، موسى بن الحسن بن عبد الله المروزى السهيلى ، محمد بن العباس بن الربيع اللؤلؤى ، محمد بن عزيز الايلى ، محمد بن أحمد بن جعفر الكوفى ، محمد بن بحر بن مطير الواسطى ، محمد بن النعمان السبقطى ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادى ، محمد بن هشام الشيزرى ، محمد بن حرب النسائى الحمصى ، محمد بن عيسى بن فليح الخزاعى ، محمد بن عيسى بن جابر الرشيدى ، محمد بن عمرو بن تمام الكلبى أبو الكردوس ، محمد بن زياد بن ريان الكلبى ، محمد بن

سليمان الباغندي ، موسى بن عيسى المقرىء شيخه في القراءات ، موسى ابن النعمان المكي ، محمد بن سلامة الطحاوي أبوه ، محمد بن عبد الله ابن عبد الجبار المرادي ، محمد بن أحمد بن جعفر الذهلي الكوفي ، محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، موسى بن الحسن البغدادي ، محمد ابن علي بن يزيد المكي ، مالك بن عبد الله بن يوسف التجيبي ، محمد ابن رجال ، محمد بن علي بن زيد الحلواني ، محمد بن عبده المروزي ، مسعدة بن حازم ، موسى بن الحسن المروزي ، مالك بن يحيى الهمداني ، محمد بن علي بن محرز البغدادي ، محمد بن يحيى بن مطر البغدادي ، مصعب بن ابراهيم بن حمزة الزبيري .

(ن) : نصر بن حرب المسمعي ، نصر بن مرزوق العتقي .

(و) : الوليد بن محمد التميمي أبو القاسم (ولاد) .

(هـ) : هارون بن كامل أبو موسى المصري ، هارون بن محمد العسقلاني .

(ى) : يحيى بن عثمان بن صالح السهمي المصري ، يحيى بن نصير ، يحيى بن اسماعيل البغدادي أبو زكريا ، يوسف بن يزيد ، يونس بن عبد الأعلى .

***

سرد أسماء بعض أصحاب الطحاوي

وقد ذكرت جملة صالحة من أصحاب أبي جعفر الطحاوي فيما سبق وهم في غاية الكثرة ولا أريد اطالة الكلام هنا بسرد أسمائهم لقلة جدواها واكتفي بذكر بعضهم كنماذج فمنهم : أحمد بن ابراهيم بن حماد أبو عثمان قاضي مصر حفيد اسماعيل القاضي ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، وأحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادي الحافظ ، المعروف بابن الخشاب وأحمد بن محمد بن منصور أبو بكر الأنصاري الدامغاني القاضي ،



والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصرى ، وسليمان بن أحمد ابن أيوب الطبرانى الحافظ صاحب المعاجم ، وعبد الله بن أحمد بن زبر أبو محمـــد القاضى والد أبى سليمان • وعبد الله بن حديد بن الشواء أبو محمد الأرزنى ، وعبد الله بن محمد بن أحمد أبو القاسم المعروف بابن أبى العوام الحـــافظ القاضى الكبير ، وعبد الرحمن بن اســحاق الجوهرى قاضى مصر ، وعبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو ســعيد المصرى الحافظ المؤرخ وعبد العزيز بن محمد التميمى الجوهرى قاضى الصعيد ، وعبيد الله بن على الداودى أبو القاسم شيخ أهل الظاهر فى عصره ، وعلى بن أحمد بن محمد بن سلامة أبو الحسن الطحاوى ابنه ، وعلى بن الحسين بن حرب أبو عبيد قاضى مصر ، ومحمد بن أحمـد الأخميمى أبو الحسن ، ومحمـــد بن ابراهيم بن على المقرىء أبو بكـــر الحافظ ، ومحمد بن عبد الله بن أحمـــد بن زبر أبو سليمان الحافظ ، ومحمد بن عبيدة أبو عبيد الله قاضى مصر ، ومحمد بن جعفر بن الحسين البغدادى المعروف بغنـــدر الحافظ المفيد ، ومحمـــد بن عمر الترمذى أبو الفضل ، ومسلمة بن القاسم بن ابراهيم أبو القاسم القرطبى • ومكى بن أحمد بن ســعدوية البردعى أبو بكر ، ومحمد بن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادى الحافظ ، وميمون بن حمزة العبيدلى ، وهشـــام ابن محمد بن أبى خليفة الرعينى وهشـــام بن محمد بن قرة المصرى ، ويوسف بن القاسم الميانجى أبو القاسم ، وفى هذا القدر كفاية فى سرد أسماء صحابه وتلاميذه كنماذج لأصـــحابه من حفاظ الحديث والفقهاء رضى الله عنهم أجمعين •

ثناء أهل العلم على الطحاوى

قال البدر العينى فى نخب الأفكار : أما الطحاوى فانه مجمـــع عليه فى ثقته وديانته وأمانته ، وفضيلته التامة ، ويده الطولى فى الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ، ولم يخلفه فى ذلك أحـــد ، ولقد أثنى عليه

السلف والخلف ، فقال أبو سعيد بن يونس فى ترجمته فى تاريخ العلماء المصريين : كان الطحاوى ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلا لم يخلف مثله ، وكذا قال الحافظ بن عساكر ، وقال مسلمة بن القاسم القرطبى فى الصلة كان ثقة جليل القدر فقيه البدن عالما باختلاف العلماء بصيرا بالتصنيف . ثم ذكر كلمة عن ابن الأحمر وسنتحدث عنها ، وقال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : كان الطحاوى كوفى المذهب وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء وفى تاج التراجم قال ابن عبد البر فى كتاب العلم : كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم ، مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء ، وقال الحافظ السمعانى : كان الطحاوى ثقة ثبتاً . وقال ابن الجوزى فى المنتظم : كان الطحاوى ثبتاً فهماً فقهياً عاقلا من طحا قرية فى صعيد مصر وكذا قال سبطه فى مرآة الزمان ، ثم قال : واتفقوا على فضله وصدقه وزهده وورعه ، وقال الذهبى فى تاريخه الكبير : الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام ، وكان ثقة ثبتاً فقيها عاقلا ، وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ، وفى ترجمة الطحاوى : وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة . أ هـ . وقال الصلاح الصفدى فى الوافى : كان ثقة نبيلا ثبتاً فقيها عاقلا لم يخلف بعده مثله . أ هـ . وقال اليافعى : برع فى الفقه والحديث وصنف التصانيف المفيدة . أ هـ . وقال السيوطى : الامام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة وكان ثقة ثبتاً فقيها لم يخلف بعده أ هـ .

وقال البدر العينى بعد أن ذكر نصوص كثير ممن أثنوا على الطحاوى : (ولقد أثنى عليه كل من ذكره من أهل الحديث والتاريخ كالطبرانى وأبى بكر الخطيب وأبى عبد الله الحميدى والحافظ بن عساكر وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين كالحافظ أبى الحجاج المزى والحافظ الذهبى وعماد الدين بن كثير وغيرهم من أصحاب التصانيف ولا يشك عاقل منصف أن الطحاوى أثبت فى استنباط الأحكام من القرآن ومن الأحاديث النبوية ، وأقعد فى الفقه من غيره ممن عاصره سنا أو شاركه



رواية من أصحاب الصحاح والسنن لأن هذا انما يظهر بالنظر فى كلامه وكلامهم • ومما يدل على ذلك ويقوى ما ادعيناه تصانيفه المفيدة الغزيرة فى سائر الفنون من العلوم النقلية والعقلية ، وأما فى رواية الحديث ومعرفة الرجال وكثرة الشيوخ فهو كما ترى امام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والسنن • يدل على ذلك اتساع روايته ومشاركته فيها أئمة الحديث المشهورين كما ذكرناهم •

وأما تصانيفه فتصانيف حسنة كثيرة الفوائد ولا سيما كتاب معانى الآثار • فان الناظر فيه المنصف اذا تأمله يجده راجحاً على كثير من كتب الحديث المشهورة المقبولة ، ويظهر له رجحانه بالتأمل فى كلامه وترتيبه ، ولا يشك فى هذا الا جاهل أو معاند متعصب ، وأما رجحانه على نحو سنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ونحوها فظاهر لا يشك فيه عاقل ، ولا يرتاب فيل الا جاهل ، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباطات ، واظهار وجوه المعارضات وتمييز النواسخ من المنسوخات ، ونحو ذلك • فهذه هى الأصل وعليها العمدة فى معرفة الحديث ، والكتب المذكورة غير مشحونة بها كما ينبغى • كما ترى ذلك ونعاينه • فان ادعى المدعى كونه مرجوحا بوجود بعض الضعفاء والأسقاط فى رجاله فيجاب بأن السنن المذكورة ملأى بمثل ذلك • بل وقد قيل أنها لا تخلو فن بعض أحاديث باطلة وأحاديث موضوعة • وأما الأحاديث الضعيفة فكثيرة جداً • وأما سنن الدارقطنى أو الدارمى أو البيهقى ونحوها فلا تقارب خطوة ولا تدانى حقوة • ولا هى مما تجرى معه فى الميدان • ولا مما تعادل معه فى كفتى الميزان • ولم يظهر رجحان هذا الكتاب عند كثير من الناس لكونه كنزاً مخفياً ومعدناً مخبياً • لم يصادفه من يستخرج ما فيه من العجائب • ولم يعثر عليه من يستنبط ما فيه من الغرائب • فلم يبرح الكمون والاختفاء • ولم يبرز على منصة الاجتلاء • حتى كاد أن تضيف شمسه الى الأفول ويدره الى النحول • وذلك لقصور فهم المتأخرين وتركهم

هذا الكتاب • واشتغالهم بما لا يفيد شيئا فى هذا الباب • مع استيلاء المخالفين المتعصبة على بقاع مناره • وتحامل الخصوم المعادية على اندراس معالمه وآثاره ، ولكن الله يحق الحق ويبطل الباطل حيث خلق أناسا قاموا بحقوقه وأحيوا مواته ، وفضوا على محاسن معالمه ما فاته : فظهر له الترجح على أمثاله ، والتفوق على أشكاله • آ هـ •

وتلك بعض ما قاله أعلام العلماء فى الثناء على الطحاوى الجدير بكل ثناء •

نشاة الطحاوى على مذهب خاله ثم انتقاله منه

أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى أفقه أصحاب الامام الشافعى وأحدهم ذكاء كان خال الطحاوى فأخذ يتفقه عليه فى نشأته ، فكلما تقدم فى الفقه كان يجد نفسه بين تدافع مد وجزر فى التأصيل والتفريع ، وبين اقدام واحجام ، فى النقض والابرام ، فى قديم المسائل وحديثها ، وكان لا يجد عند خاله ما يشفى غلته فى بحوثه فأخذ يترصد ما يعمله خاله فى المسائل الخلافية ، فاذا هو كثير المطالعة لكتب أبى حنيفة فينفرد عن امامه منحازاً الى رأى أبى حنيفة فى كثير من مسائل سجلها فى مختصره ، فأخذ يطلع على المنهج الفقهى عند أهل العراق فاجتذبه حتى أخذ يتفقه على أحمد بن أبى عمران القادم من العراق بعد أن اطلع على رد بكار بن قتيبة على كتاب المزنى ؛ فأصبح فى عداد المتخيرين لهذا المنهج نابذاً منهجه القديم فأثار ذلك بعض ضجة حيكت حولها حكايات ، فأسوقها مع ما لها وما عليها بمبلغ علمى فيختار القارىء ما يراه أقرب الى الصحة من تلك الروايات • وأشهر تلك الروايات ما ذكره أبو اسحاق الشيرازى الشافعى فى طبقات الفقهاء واليك نصه : (انتهت الى أبى جعفر — الطحاوى — رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر ، أخذ العلم عن أبى جعفر أحمد بن أبى عمران وأبى خازم وغيرهما وكان شافعياً يقرأ على المزنى ، فقال له يوما : والله لا جاء منك شىء •

فغضب من ذلك وانتقل الى ابن أبى عمران ، فلما صنف مختصره ، قال : رحم الله أبا ابراهيم ، لو كان حياً لكفر عن يمينه) . وهذا خبر خال عن السند[1] و (لا جاء) بصيغة الماضى ، والحلف على الماضى غموس أو لغو لا يوجب الكفارة فى مذهب المزنى و (شىء) بمعنى شىء يعتد به فى باب العلم بقرينة المقام . والطحاوى أعلى مقاما فى العلم من أن يجهل حكم الحلف على الماضى فى المذهبين فيكون مع الخبر ما يكذبه ، وأما رواية السلفى فى معجم شيوخه عن أحمد ابن عبد المنعم الآمدى عن محمد بن على الدامغانى عن القدورى ، أن المزنى قال للطحاوى يوما : (والله لا أفلحت فغضب وانتقل من عنده وتفقه على مذهب أبى حنيفة .. وكان يقول : رحم الله أبا ابراهيم لو كان حيا ورآنى لكفر عن يمينه) فعلى صيغة الماضى أيضا فلا يوجب الحلف على الماضى الكفارة فى المذهبين على أن هذا الخبر مقطوع للمفازة بين القدورى والطحاوى . وأما ما ذكره ابن عساكر فى تاريخه من قوله (وبلغنى أن سبب تركه لمذهب الشافعى أنه تكلم يوما بحضرة المزنى فى مسألة ، فقال له المزنى : والله لا تفلح أبداً . فغضب من قول المزنى وانقطع الى أبى جعفر بن أبى عمران وقال بقول أبى حنيفة حتى صار رأسا فيه فاجتاز بعد ذلك بقبر المزنى فقال : يرحمك الله يا أبا ابراهيم لو كنت حيا لكفرت عن يمينك) فحلف على المستقبل لكنه كلام لا سند له لأنه من بلاغاته كما ترى . وقال ابن عساكر : قرأت على أبى محمد السلمى عن عبد العزيز بن أحمد ، قال : قرأت على أبى الحسين على بن موسى بن الحسين السمسار ، قال : قال لنا أبو سليمان بن زبر قال : قال لى أبو جعفر الطحاوى : (أول من كتبت عنه الحديث ، المزنى ، وأخذت بقول الشافعى ، فلما كان بعد سنين قدم أحمد بن أبى عمران قاضيا على مصر فصحبته وأخذت بقوله .

---

(۱) وهو مأخوذ من كلام الصيمرى ، يرويه عن أبى بكر محمد بن موسى الخوارزى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو لم يدرك زمن الطحاوى ولا عزا الى من أدرك ، فتكون هذه الحكاية من الحكايات المرسلة على عواهنها (ز) .

وكان يتفقه للكوفيين . وتركت قولى الأول فرأيت المزنى فى المنام . وهو يقول لى : يا أبا جعفر اغتصبك أبو جعفر يا أبا جعفر أغتصبك أبو جعفر) وليس فى هذا حلف . وقال أبو يعلى الخليلى فى الارشاد عن محمد بن أحمد الشروطى (أنه قال للطحاوى : لم خالفت مذهب خالك ؟ واخترت مذهب أبى حنيفة ، فقال لأنى كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة فلذلك انتقلت اليه) هكذا فى نقل البدر العينى وابن خلكان ، يعنى فبدأت أديم النظر فيها فاجتذبتنى الى المذهب كما حملت تلك الكتب خالى على الانحياز الى أبى حنيفة فى كثير من المسائل كما يظهر من مختصر المزنى ومخالفاته للشافعى فيه فى كثير من المسائل وقول الطحاوى نفسه فى سبب انتقاله هو الجدير بالتعويل . وباقى الحكايات لا تخلو من مأخذ سنداً ومتناً كما سبق ؛ فليأخذ القارىء بما يطمئن اليه بعد الالمام بأطراف هذا الحديث ، ومما يلاحظ هنا أن أبى عمران الذى يقال أن الطحاوى انتقل الى مجلسه تاركا مجلس خاله انما ولى قضاء مصر بعد القاضى بكار[1] وهو توفى سنة ٢٧٠ هـ بمصر بعد وفاة المزنى سنة ٢٦٤ هـ بمدة كبيرة ، وقد قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ (٣ ــ ٢٩) . وأما ابن أبى عمران الحنفى[2] فكان

---

(١) قال ابن خلكان : كان أحمد بن طولون يدفع الى القاضى بكار فى العام ألف دينار سوى المقرر له فيتركها بكار بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه ابن طولون لخلع الموفق من ولاية العهد امتنع . فاعتقله وطالبه بحمل الذهب فحمله اليه بختومه . وكان ثمانية عشر كيساً وفى كل كيس ألف دينار فاستحى ابن طولون عند ذلك من الملأ وقال أبو المحاسن : قلت هذا هو القاضى الذى فى الجنة رحمه الله ولم يعين قاض بدله الى وفاته اكتفاء بنيابة محمد بن شاذان الجوهرى عنه مدة اعتقاله . وترجمة بكار ـ غاية العظمة ، قال الطحاوى فى تاريخه الكبير : ما تعرض أحد لبكار فأفلح كما فى طبقات القرشى (ز) .

(٢) أحمد بن أبى عمران موسى بن عيسى البغدادى الامام أبو جعفر الفقيه قاضى الديار المصرية من أكابر الحنفية تفقه على محمد بن سماعة . وجدت عن عاصم بن على وطائفة . روى الكثير وهو شيخ الطحاوى مات فى المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بمصر . وثقة ابن يونس فى تاريخه كما فى حسن المحاضرة للسيوطى : وله كتاب الحجج (ز) .

قاضي الديار المصرية بعد القاضي بكار أ هـ • وأبو سليمان بن زبر الحافظ من كبار أصحاب الطحاوى قد حكى من لفظه ما سبق ذكره مع السند اليه فيكون الاعتماد على حكاية ابن زبر والشروطى لكون قولهما متلقى من الطحاوى مباشرة • والله أعلم • والذى حكاه ابن حجر فى اللسان : (أنه كان أولا على مذهب الشافعى ثم تحول الى مذهب الحنفية لكائنة جرت له مع خاله المزنى : وذلك أنه كان يقرأ عليه فمرت مسألة دقيقة فلم يفهمها أبو جعفر فبالغ المزنى فى تقريبها له فلم يتفق ذلك فغضب المزنى متضجراً ، فقال والله لا جاء منك شيء • فقام أبو جعفر من عنده وتحول الى أبى جعفر بن أبى عمران وكان قاضى الديار المصرية بعد القاضى بكار فتفقه عنده ولازمه انى أن صار منه ما صار • هـ) ثم حكى ما قاله أبو اسحاق الشيرازى فى الطبقات من قول يعزى الى الطحاوى بعد تصنيفه المختصر : (لو كان المزنى حيا لكفر عن يمينه) وقال شرحا لقوله هذا : يعنى الذى حلفه أنه لا يجيء منه شيء • فحول الماضى الى المستقبل كما ترى ، ثم قال : (وتعقب هذا بعض الأئمة بأنه لا يلزم المزنى فى ذلك كفارة لأنه على غلبة ظنه • ثم قال : ويمكن أن يجاب عن أبى جعفر بأنه أورد ذلك على سبيل المبالغة • ولا شك أنه تستحب الكفارة فى مثل ذلك ولو لم يقل بالوجوب ، وليس يخفى مثل ذلك على أبى جعفر • لكن قرأت بخط المنذرى أن الطحاوى انما قال ذلك كيما يعير المزنى • فأجابه بعض الفقهاء بأن المزنى لا يلزمه الحنث أصلا لأن من ترك مذهب أصحاب الحديث وأخذ بالرأى لم يفلح • هـ) وهذا تصرف طريف من ابن حجر• وفيه كثير من العبر • ومن المعلوم أن الغباء الفطرى قلما يتحول الى ذكاء بممارسة العلم • وكتب الطحاوى شهود صدق على ذكائه الفطرى• ومثله لا يكون ممن لا يفهم المسألة مهما بولغ فى تقريبها ، كما أن المزنى لا يستعصى عليه بيان مسألة بحيث لا يفهمها مثل الطحاوى فى اتقاد ذهنه • على أن المزنى ممن ورث رحابة الصدر والصبر أمام تلاميذه من امامه العظيم البالغ الذكاء ، الصابر على تعليم من فى فهمه بطء

من أصحابه . وقد حكى أبو بكر القفال المروزى فى فتاواه : (أن الربيع المرادى ـ راوية المذهب الجديد ـ كان بطىء الفهم فكرر عليه الشافعى مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياء ، فدعاه الشافعى فى خلوة وكرر عليه حتى فهمه) ـ كما نقله ابن السبكى ـ فمن البعيد أن لا يصبر المزنى مع الطحاوى فى التعليم ، وهو ابن أخته ، ويتسرع فى الحلف بتلك الصورة البعيدة عن الاتزان ، وأما دعوى أنهم هم أهل الحديث دون الآخرين فشنشنة تعودنا أن نسمعها من أفواه أناس فقدوا سلامة التفكير ، فلو فكروا جيداً فى مبلغ توسع أصحابهم فى قياس الشبه والمناسبة ورد المرسل ، مع التساهل فى قبول الأحاديث عن كل من هب ودب ، ودرسوا جيداً مسند أبى العباس الأصم لأقلعوا عن ادعاء أنهم هم الذين يأخذون بالسنة دون سائر الطوائف من فقهاء هذه الأمة ، وليس بين طوائف أهل السنة من لا يتخذ الحديث ثانى أصول الاستنباط لكن بعد تصفيته بمصفاة النقد القويم متناً وسنداً ، لا باسترسال فى قبول مرويات النقلة من غير بحث ولا تنقيب عن كل ما ورد فى البحث الموضوع على مشرحة التمحيص والله ولى الهداية .

***

سعة دائرة رواية الطحاوى عن شيوخ عصره

من اطلع على تراجم شيوخ الطحاوى علم أن بينهم مصريين ومغاربه ويمنيين وبصريين وكوفيين وحجازيين وشاميين وخراسانيين ومن سائر الأقطار فتلقى منهم ما عندهم من الأخبار والآثار ، وقد تنقل فى البلدان المصرية وغير المصرية لتحمل ما عند شيوخ الرواية فيها من الحديث وسائر العلوم ، وكان شديد الملازمة لكل قادم الى مصر من أهل العلم من شتى الأقطار ، حتى جمع الى علمه ما عندهم من العلوم ، وسمع من أصحاب ابن عيينة وابن وهب وهذه الطبقة وخرج الى الشام

فسمع ببيت المقدس وغزة وعسقلان وتفقه بدمشق على القاضى أبى خازم عبد الحميد كما تفقه بمصر على ابن أبى عمران وبكار بن قتيبة وكان يتردد الى القضاة الواردين الى مصر يستقى ما عندهم من العلوم حتى أصبح واحد عصره فى تحقيق المسائل ، وتدقيق الدلائل بحيث يرحل اليه أهل العلم من شتى الأقطار ليستمتعوا بغزير علومه على اختلاف مسالكهم ومذاهبهم ، وكانوا يتعجبون جداً من سعة دائرة استبحاره فى شتى العلوم ، قال ابن زولاق فى قضاة مصر : حدثنى عبد الله بن عمر الفقيه سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول كان لمحمد بن عبدة القاضى مجلس للفقه عشية الخميس يحضره الفقهاء وأصحاب الحديث فاذا فرغ وصلى المغرب انصرف الناس ولم يبق أحد الا من تكون له حاجة فيجلس ففى ليلة رأينا الى جنب القاضى شيخا عليه عمامة طويلة وله لحية حسنة لا نعرفه فلما فرغ المجلس وصلى القاضى التفت فقال يتأخر أبو سعيد يعنى الفارابى وأبو جعفر وانصرف الناس ثم قام يتركع فلما فرغ استند ونصبت بين يديه الشموع ثم قال : خذوا فى شىء فقال ذلك الشيخ : أيش روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أمه عن أبيه ؟ فلم يقل أبو سعيد الفارابى شيئا ، فقلت أنا : حدثنا بكار بن قتيبة ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن عبد الأعلى الثعلبى عن أبى عبيدة بن عبد الله عن أمه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ان الله ليغار للمؤمن فليغر) قال : فقال لى ذلك الشيخ أتدرى ما تتكلم به ؟ فقلت أيش الخبر ؟ فقال لى : رأيتك العشية مع الفقهاء فى ميدانهم ، ورأيتك الساعة فى أصحاب الحديث فى ميدانهم وقل من يجمع ما بين الحالتين . فقلت : هذا من فضل الله وانعامه فأعجب القاضى فى وصفه لى ، ثم أخذنا فى المذاكرة . أ هـ . وأبو سعيد هذا هو محمد بن عقيل الفريابى يعد فى كبار فقهاء الشافعية من أصحاب المزنى ولم يكن يسعه غير السكوت أمام الطحاوى المستبحر فى العلوم ، وبهذا العلم الواسع تمكن من تأليف كتب لا نظير لها بين مؤلفات أهل عصره ، وكان الحامل له على استجماع الروايات ما لمس فى منهجه الجديد من الحاجة الماسة

فى استعراض جميع ما ورد فى كل موضـــوع فقهى من خبر مرفـــوع أو موقوف وأو مرسل أو أثر من السلف أو رأى منهم بأسانيد مختلفة المراتب ليستخلص من بينها الحـــق الصراح ، لأن من قصر فى جمـــع الروايات واكتفى بخبر يعـــده صحيحا لا يكون وفى العلم حقـــه لأن الروايات تختلف زيادة ونقصـــا ومحافظة على الأصـــل ورواية بالمعنى واختصارا فلا تحصل طمأنينة فى قلب الباحث الا باستعراض جميعها مع آراء فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم فيتمكن بذلك من رد المردود وتأييد المقبـــول . وهذا ما فعله الطحـــاوى فى كتبه وقد أهله علمـــه الواسع لحمل هذه الأعباء المضنية بمقدرة فائقـــة أثارت نفوس بعض المخالفين فتقولوا عليه فازداد رفعة عند الله وعند الناس ، ولولا هـــذه الهمة القعساء عنده لكان فى امكانه أن يكتفى بكتاب من كتب الصحاح أو السنن فيعكف عليه وحده ظانا أنه هو العلم كله . لكن مواهبه أبت الا هذا الاعتلاء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء ، وزيادة على هـــذا له منهج حكيم فى ترجيح الروايات بعضها على بعض من غير الاكتفاء بنقد رجال الأســـانيد فقط . وهو دراسة الأحكام المنصوصة وتبيين الأسس الجامعة لشتى الفروع من ذلك فاذا شـــذ الحكم المفهوم من رواية راو عن نظائره فى الشرع يعد ذلك علة قادحة فى قبول الخبر ، لأن الأصل الجامع لشـــتى الفروع والنظـــائر فى حكم المتواتر وانفراد راو بحكم مخالف لذلك لا يرفعه الى درجة الاعتداد به ، مع هذه المخالفة الصارخة. وهو أجاد تطبيق هذه القاعدة الحكيمة فى كتبه جد الاجادة ، وليس هذا ترجيحا لخبر على خبر بموافقة القياس كما ظن على ما شرحت ذلك فى (الاشفاق) وغيره ، ولم يكتف بمجرد نقد الرجال علما منه بمبلغ اختلاف النقاد حتى فى أشهر مشهورى حملة الآثار ، ولذا وجد النظار من المتكلمين من غير أهل السنة ما يتخذونه وســـيلة الى اعلال رواياتهم فى كتب أمثال الكرابيسى وابن أبى خيثمة وابن معين وابن المدينى وغيرهم ممن أطلقـــوا لسان النقد فى كثير من الأجـــلة كما يظهر من كتـــاب

أبى القاسم الكعبى وكتاب الصاحب بن عبادة فى ذلك ، فالطحاوى لم يكتف بهذا النقد القابل للمعارضة . بل سلك منهجا نخيره أصحابنا ، وسار سيرهم فيه وهو عدم اهمال ناحيــة موافقــة حكم الخبر لنظائره أو مخالفته لها . وهذه طريقة بديعة تركها المتأخرون ، وهى محفــوظة بجدتها فى كتب الطحاوى وبروعتها ويرعاها فى بحوثه بحيث لو تتبعها المتفقه نمت ملكته وانكشفت مواهبه ، وليس ذلك من جهله بأحــوال الرجال ، بل كان ما قاله أصــحاب الشــأن فى رجال الرواية على طرف لسانه ، ومبلغ ســعة علمه فى الرجال يظهر عنــد كلامه فى الأحاديث المتعارضة فى كتبه . وكتابه الكبير فى تاريخ الرجال موضع ثناء أهل العلم ، وان لم نطلع عليه لكن رأينا كثيراً من النقول عنه فى كتب أهل الشأن مما يدل على زاخر علمه فى هذا الباب ، وليس ترجيحه لرواية على أخرى لموافقة احداهما للأصــول الجامعة دون الأخرى من قبيل الترجيح بموافقة القياس بل رد لمــا لا نظير له فى الشرع بالشذوذ ، وهو أخذ بأقوى الحجج ، ولا يهمل الكلام فى الرجال أصلا كما تجد مصداق ذلك فى معانى الآثار ومشــكل الآثار وغيرهما من مؤلفــاته الخالدة ، ومن زعم خلاف ذلك فقد قصر فى التنقيب ورمى بدائه غيره والله المســتعان .

بعض أنباء الطحاوى لدى القضاة والحكام

ذكر ابن زولاق أن الطحاوى أراد مقاســمة عمــه فى الربع الذى بينهما فحكم له القاضى بالقسمة وأرسل اليه بمال يستعين به فى ذلك ، ووافــق ذلك املاكا فى مجلس أحمــد بن طولون فحضره أبو جعفر الطحــاوى وقرأ الكتاب وعقــد النكاح فخرج خادم بصينية فيها مائة دينار وطيب فقال : كم القاضى . فقال القاضى كم أبى جعفر ، فألقاها فى كمه ، ثم خرج الى الشهود ، وكانوا عشرة بعشر صوان والقاضى يقول : كم أبى جعفر ، ثم خرجت صينية أبى جعفر ، فانصرف أبو جعفر

فى ذلك اليــوم بألف ومائتى دينار ســوى الطيب ، قال ابن زولاق حدثنى عبد الله بن عثمان قال : سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول : كانت لأبى الجيش ابن أحمد بن طولون أمير مصر شهادة فحضر الشــهود ، وكان كلما كتب شاهد شهادته قرأها الأمير والقاضى ، وكان كل شاهد يكتب : أشهدنى الأمير أبو الجيش بن أحمــد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، قال أبو جعفر : فلما شــهدت أنا كتبت : أشــهد على اقرار الأمير أبى الجيش بن أحمــد بن طولون مولى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وعلوه بجميع ما فى هــذا الكتاب ، فلما قرأه الأمير قال للقاضى : من هــذا ؟ قال هــذا كاتبى فقــال : أبو من ؟ قال : أبو جعفر ، فقال : وأنت يا أبا جعفر فأطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، قال : فقمت بسبب ذلك محســوداً من الجمــاعة • قال ابن زولاق : فلم يزل محمــد بن عبدة وأصحابه (يســعون) فأغروا به نائب هارون ابن أبى الجيش فاعتقل أبا جعفر الطحاوى بسبب اعتسار الأوقاف • قال ابن زولاق : وسمعت أبا الحسن على بن أبى جعفر الطحاوى يقول : ســمعت أبى يقول وذكر فضل أبى عبيدة بن حربوية وفقهه فقــال كان يذاكرنى بالمســائل ، فأجبته يوما فى مســألة فقال لى . ما هــذا قول أبى حنيفة ، فقلت له : أيها القاضى أو كل ما قاله أبو حنيفة أقول به ؟ فقال : ما ظننت الا مقلدا فقلت له : وهل يقلد الا عصبى ؟ فقال لى أو غبى • قال : فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثــلا وحفظها الناس • قال : وكان الشهود ينفسون على أبى جعفر بالشهادة لئلا يجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة فلم يزل أبو عبيد فى سنة ٣٠٦ هـ حتى عدله بشهادة أبى القاسم مأمون ومحمد بن موسى ســقلاب فقبله وقدمه وكان أكثر الشهود فى تلك السنة قد حجوا وجاوروا بمكة فتم لأبى عبيد ما أراد من تعديله ، وكان لأبى عبيد فى كل عشية مجلس لواحد من الفضلاء يذاكره وقد قسم أيام الأسبوع عليهم منها عشية لأبى جعفر فقال له فى بعض كلامه ما بلغه عن أمناء القاضى وحضة على محاسبتهم فقال

القاضي أبو عبيد : كان اسماعيل بن اسحاق لا يحاسبهم فقال أبو جعفر قد كان القاضي بكار يحاسبهم ، فقال القاضي أبو عبيد : كان اسماعيل .. وقال (أبو جعفر) قد حاسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمناءه وذكر له قصة ابن الأتبية[1] فلما بلغ ذلك الأمناء لم يزالوا حتى أوقعوا بين أبي عبيد وأبي جعفر وتغير كل منهما للآخر وكان ذلك قرب صرف أبي عبيد عن القضاء قال : فلما صرف أبو عبيد عن القضاء أرسل الذي ولي بعده الى أبي جعفر بكتاب عزله قال فحدثني على بن أبي جعفر قال فجئت الى أبي فهنأته فقال لي أبي ويحك أهذه تهنئة ؟ . هذه والله تعزية ، من أذاكر بعده أو من أجالس ؟ . قال ابن زولاق : ولما تولى عبد الرحمن بن اسحاق الجوهري القضاء بمصر كان يركب بعد أبي جعفر وينزل بعده فقيل له في ذلك ، فقال هذا واجب لأنه عالمنا وقدوتنا وهو أسن مني باحدى عشرة سنة ولو كانت احدى عشرة ساعة لكان القضاء أقل من أن أفتخر به على أبي جعفر ولما ولي أبو محمد عبد الله بن زبر قضاء مصر وحضر عنده أبو جعفر الطحاوي فشهد عنده ، أكرمه غاية الاكرام وسأله عن حديث ذكر أنه كتبه عن رجل عنه من ثلاثين سنة فأملاه عليه . وقال وحدثني الحسين بن عبد الله القرشي قال : وكان أبو عثمان أحمد بن ابراهيم بن حماد في ولايته القضاء بمصر يلازم أبا جعفر الطحاوي يسمع عليه الحديث فدخل رجل من أهل أسوار فسأل أبا جعفر عن مسألة ، فقال أبو جعفر : من مذهب القاضي أيده الله كذا وكذا ، فقال : ما جئت الى القاضي انما جئت اليك ، فقال له : يا هذا ، من مذهب القاضي ما قلت لك . فأعاد القول . فقال أبو عثمان تفتيه أعزك الله فقال : اذا أذنت أيدك الله أفتيته فقال : قد أذنت ، فأفتاه ، قال : فكان ذلك يعد في فضل أبي جعفر وأدبه . أ هـ . وكان

---

(١) بالهمزة رواية والمشهور باللام بضم فسكون وقيل بفتحتين . وبنو لتب من الأزد وحديث ابن اللتبية عبد الله في استعماله على صدقات بني سليم وبني ذبيان في صحيح البخاري في الجمعة والزكاة والحيل والأحكام (ز) .

أبو عبيد فى غاية المعرفة بالاحكام . وأبو عثمان القاضى حفيد اسماعيل القاضى كان ملكيا كجده ولم يكن اختلاف المذاهب يؤثر فى تواصل هؤلاء العلماء أصحاب النفوس الطاهرة وتلك الأنباء تكشف عن مبلغ التصافى بين علماء ذلك العهد رحمهم الله تعالى .

يقال أن أمير مصر أبا منصور تكين الخزرى الشهير بالجيار دخل على الطحاوى يوما . فلما رآه داخله الرعب ، فأكرمه الأمير وأحسن اليه ثم قال له : يا سيدى ، أريد أن أزوجك ابنتى ، فقال له : لا أفعل ذلك ، فقال له : ألك حاجة بمال ؟ قال له : لا قال : فهل أقطع لك أرضا ؟ . قال : لا . قال : فاسألنى ما شئت ، قال : وتسمع ؟ قال : نعم . قال : احفظ دينك لئلا ينفلت ، واعمل فى فكاك نفسك قبل الموت واياك ومظالم العباد . ثم تركه ومضى فيقال أنه رجع عن ظلمه لأهل مصر كما فى تحفة الأحباب . هكذا كانت معاملة الطحاوى مع حكام مصر ، يأبى المصاهرة ويأبى انعامهم بالمال أو الاقطاع ويأبى قبول قضائهم لأى حاجة له ، بل ينصحهم بما ينفعهم فى الدنيا والآخرة . وأين هذا ممن يزوج بناته الثلاث للمماليك تزلفا اليهم : ثم يطول لسانه فى مثل الطحاوى .

***

كلام بعض الناس فى الطحاوى

وقد سبق ذكر كلمات أهل العلم فى الثناء على أبى جعفر الطحاوى بما هو جدير به وشهادة أهل الشأن بثقته وديانته ، وحفظه وأمانته ، وفهمه وفطانته . ومن أمثال أبى سعيد بن يونس الحافظ ، وأبى سعد السمعانى ، وابن الجوزى ، وسبطه ، وابن عبد البر ، والذهبى وابن كثير وغيرهم فلا داعى الى اعادة ذكرهم ، ومع ذلك لم يسع بعض المتعصبين أن لا ينالوا منه ليخفضوا منزلته العالية . لكن ما زادوا فى مقامه السامى الا علوا وارتفاعا ، ولا فى نفوسهم المريضة الا انخذالا واتضاعا .

سامحهم الله وألهمه الصفح عن هؤلاء المرضى فى عقولهم ودياناتهم ، وفى ثقتهم وأماناتهم ، فأقول : قال أبو بكـر البيهقى فى أول كتاب معرفة السنن : (وحين شرعت فى كتابى هذا جاءنى شخص من أصحابى بكتاب لأبى جعفر الطحاوى ، فكم من حديث ضعيف فيه صححه لأجل رأيه ، وكم من حديث صحيح ضعفه لأجل رأيه) هكذا قال البيهقى فى معرفة السنن وهى المعروفة بالسنن الوسـطى • وقد قال الحافظ عبد القادر القرشى فى كتابه الجواهر المضيئة فى كتاب الجامع منه (٤٣١) معلقا على هذه الكلمة : وحاش لله أن الطحاوى رحمه الله تعالى يقع فى هذا • فهذا الكتاب الذى أشار اليه هو الكتاب المعروف بمعانى الآثار ــ وبعد أن توسع الحافظ القرشى فى بيان ما صـنعه فى تخريج أحاديثه باشـارة شيخه ــ قال : ووالله لم أر فى هـذا الكتاب شيئا مما ذكره البيهقى عن الطحاوى وقد اعتنى شـيخنا •• ووضع كتابا عظيما نفيسـا على كتـاب السنن الكبير له وبين فيه أنواعا مما ارتكبها من ذلك النوع الذى رمى به البيهقى الطحاوى فيذكر حديثا لمذهبه وفى سنده ضعيف فيوثقه • ويذكر حديثـا على مذهبنا وفيـه ذلك الرجل الذى وثقـه فيضعفه • ويقع هذا فى كثير من المواضع • وبين هذين العملين مقـدار ورقتين أو ثلاثة • وهذا كتابه موجود بأيدى الناس ، فمن شك فى هذا فلينظر فيه • وكتاب شيخنا كتاب عظيم لو رآه من قبله من الحفاظ لسأله تقبيل لسانه الذى تفوه بهذا كما سأل أبو سليمان الدارانى أبا داود صاحب السنن أن يخرج اليه لسانه حتى يقبله • والقصة مشهورة ثم قال القرشى : يقول الناس أن الشافعى له فضل على كل أحد ، والبيهقى فضله على الشافعى ، فوالله ما قال هـذا من شيم توجه الشافعى وعظمته واتسـاعه فى العلوم ولقد أخرج الشافعى بابا من العلم ما اهتدى اليـه الناس من قبله • وهـو علم الناسـخ ، والمنسـوخ ، وعليـه مدار الاسلام أ هـ • وكتاب شيخه هو الجوهر النقى فى الرد على سنن البيهقى طبع أولا وحده فى حيدر آباد الدكن ثم طبع مع السنن الكبرى • وأما

معرفة السنن فلم تطبع بعد ، وهى موجودة بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر والبيهقى[1] وان أساء الى نفسه بهذا الصنيع المكشوف الدخائل لكنه أحسن الى العلم من حيث ان صنعه ذلك أدى الى تأليف الجوهر النقى النافع للغاية .

والبيهقى رحمه الله له كتب نافعة . لكن فى معيار نقده خلل يدعو الى التبصر فى الاستسلام له ، كما يتيقن بذلك من طالع الكتابين الأصل والنقد . فيجد الردود الموجهة اليه غاية الوجاهة ازاء اساء ملموسة . فى حين أن كلامه فى الطحاوى كلام مرسل على عواهنه ، والحاوى فى تخريج أحاديث الطحاوى للحافظ عبد القادر القرشى . ونخب الأفكار ومعانى الأخبار للبدر العينى قامت بتمحيص الحق فى ذلك وهذا المقام لا يتسع لأكثر من هذا . ثم تكلم ابن تيمية فى منهاجه وقال فى حق الطحاوى : (ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم ، ولهذا روى فى شرح معانى الآثار الأحاديث المختلفة . وانما رجح ما يرجحه منها فى الغالب من جهة القياس الذى رآه حجة ويكون أكثره مجروحا من جهة الاسناد ولا يثبت فانه لم يكن له معرفة بالاسناد كمعرفة أهل العلم به وان كان كثير الحديث فقيها عالما أ هـ) . فتراه يحكم عليه هذا الحكم القاسى لأنه صحح حديث رد الشمس لعلى كرم الله وجهه . فيكون الاعتراف بصحة هذا الحديث ينافى انحرافه عن على رضى الله عنه . وتبدو على كلامه آثار بغضه لعلى عليه السلام فى كل خطوة من خطوات تحدثه عنه . ولا مجال لرد حديث أسماء فى ذلك من جهة الصناعة الحديثية لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة فى المطالب العلمية ، ومعرفة الطحاوى بالعلل لا يتجاهلها الا من اعتل بعلل لا دواء لها وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث قديما وحديثا وحكموا

---

(1) وليس عند البيهقى رواية جامع الترمذى وسنن النسائى وسنن ابن ماجه ومسند أحمد وجل روايته من كتاب على بن حشاد كما ذكرت فى مقدمة الأسماء والصفات له (ز) .

عليه بالصحة ، رضى ابن تيمية أم لم يرض منهم أبو القاسم العامرى الحاكم النيسابورى الحافظ ، وللسيوطى جزء خاص فى ذلك وكذا لمحمد بن يوسف الصالحى ، ومن القائلين بصحة ذلك الحديث القاضى عياض فى (الشفا فى تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) لكن لا مجال لرفع الغشاوة عن أبصار المنحازين الى الخوارج نسأل الله السلامة .
وعادة ابن تيمية أنه اذا رأى مسألة واحدة لبعض أهل العلم يجعلها قاعدة كلية عنده فيعزو الى ذلك الناطق بتلك المسألة الواحدة كليا خياليا واستيلاد الكلى من الجزئى منطق طريف ينفرد هو به . على أن ما ظن أنه ترجيح بموافقة القياس ترجيح بعدم الشذوذ عن موارد الشرع كما سبق ، ثم الكلام فى الأحاديث المختلفة بالتحدث عن رجالها جرحا وتعديلا لا يخلو عنه بحث من بحوث كتابه ، وكتابه بين أيدى أهل العلم فمثل هذا التهجم ازاء الحقائق الماثلة لا يصدر ممن يحترم نفسه ، ولو أخذنا نسرد كلامه فى الرجال من ثنايا كتبه لطال بنا الكلام جدا وخرجنا عن الموضوع ، ومن الذى رد على كتاب المدلسين للكرابيسى[1] سواء ؟ أهذا شأن من يجهل علم الرجال ؟ والجاهل بالرجال هو الذى يكتب أبو بكر الصامت الحنبلى فى أغلاطه فى الرجال جزءا مع تخبيره اليه . وكتب الطحاوى شهود صدق على علمه الواسع بالرجال ثم ان ابن حجر العسقلانى لم يرض الا أن يذكر الامام الطحاوى فى لسان الميزان وبهذا آذى نفسه قبل أن يؤذى الطحاوى لشذوذه عن جماعة أهل العلم فى الثناء عليه ، وهو كما يقول أبر أصحابه له الحافظ السخاوى فى تعليقاته على الدرر الكامنة لا يستطيع أن يترجم لحنفى الا باخسا لحقه . ومنتقصا لشأنه ، وفى هوامش الدرر كثير من كلام السخاوى فى ذلك ، فبهذا يتبين صواب ما قاله المحب بن الشحنة فى ابن حجر الا أنه لا يعول على كلامه فى حنفى متقدم ولا متأخر لبالغ تعصبه . وقد

---

(1) ومعلوم مبلغ تضايق الامام أحمد من هذا الكتاب لاعطائه سلاحا للخصوم (ز) .

ترجم ابن حجر للطحاوى فى لسان الميزان مستدركا على الذهبى ترجمة واسعة ليدس فى خلالها هذه الكلمة نقلا عن مسلمة بن القاسم عن ابن الأحمر التاجر الرحــال : (دخلت مصر قبل الثلاثمائة ، وأهــل مصر يرمون الطحاوى بأمر عظيم فظيع) فيقول ابن حجر شرحا لتلك الكلمة : يعنى من جهة أمور القضاء أو من جهة ما قيل ، أنه أفتى به أبا الجيش فى أمر الخصــيان أ هـ ــ كبرت كلمة تخــرج من أفواههم ، تراه يلوح ولا يصرح لتذهب نفس السامع الى كل سوء بشأنه ، وليسىء الى سمعته الطيبة . أهكذا يكون الجرح والتعديل عند أهل النقد ؟! ، ومن هؤلاء الذين كانوا يرمونه من أهل مصر ؟ فليذكر واحدا أو اثنين منهم بدل أن يعزو هذا الرمى الى جميع أهل مصر ليمكن النظر فى حال الرامين الذين لا يكونون عشر معشار أهل مصر ، وما هذا الأمر الفظيع الذى يســاق لتشويه سمعته ؟ وماذا يفيد خبر المجاهيل فى أمور مجهولة غير الكشف عن جهل مسجلة بملء شــدقيه وعن طويته بين جنبيه ؟ . أكان الطحاوى قاضيا حتى يصبح رميه بأمور تتعلق بالجور فى القضاء ؟ وهــو الذى كان يحض القاضى على محاسبة الأمناء ، صونا للحقوق عن الضياع ، وايصالا لها الى أصحابها . فيثورون ويفورون ويدبرون تدابير ضده من غير أن يحيق المكر السىء الا بأهله كما ســبق وليس الفاجر يســتفتى العلماء فى استباحة الفجور ، ولم يكن الطحاوى من الطراز الذى يخص أميرا أو وزيرا بفتيا . وكتاب السر يعزى الى غيره . وقد رددت على المعرى فريته السخيفة فى موضعه وبهت الأشرار على الأبرار ، لا يأخذ به نيلا منهم الا مثلهم . وكان الطحاوى رضى الله عنه من أشد العلماء ردا على مبيحى الاتفــار . راجع معانى الآثار (٢ ــ ٢٣) بخــلاف ابن حجر فانه قوى ثبوت القول به فى التلخيص الحبير (٣٠٧) وهــذا مما يندى جبين العالم خجلا ، لكن من لم يأب التغزل فى الغزلان وألف خمس رسائل فى هذا الشأن لا يأبى أن يلطخ الجباه الطاهرة بصنوف الأقذار من أهل الهذيان ، وهو يعلم تكــذيب كثير من علماء الأندلس

لمسلمة بن القاسم القرطبي ، وقول ابن الفرضي وغيره فيه انه ضعيف العقل صاحب رقى ونير نجات حفظ عليه كلام سوء فى التشبيهات وقول الذهبي وغيره فيه انه ضعيف وما قيل انه كان من المشبهة ، فبرواية مثله الموهمة لا يطعن فيمن ثبتت أمانته وديانته ، وثقته وامامته ، الا من فى نفسه حاجة ـ حفظنا الله من شرور أنفسنا وألهمنا العدل فى كل الأمور وكان مسلمة أخذ مذهب المشبهة عن شيخ السالمية أحمد بن محمد ابن سالم البصرى المذكور حاله فيما علقناه على تبيين كذب المفترى . وليس فى استطاعة ابن حجر تبرئته من هذا المذهب الردىء . ومضرب المثل السائر المصرى (فضحت نفسك بيديك) يعرفه ابن حجر جيدا وقد سجله الجمال بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد فى كتابه عن القرن التاسع فى ترجمة ابن حجر ، وصيغة مثل ابن النديم بعيدة عن أن تكون صالحة للاحتجاج بها . راجع طبقات ابن السبكى (٤ ـ ١٨) لتعلم رأى الشافعية فى لزوم الحد أو سقوطه . ولله الأمر من قبل ومن بعد . وأما قول الأستاذ أبى منصور عبد القاهر التميمى فى نقضه لكتاب أبى عبد الله محمد بن يحيى بن مهدى الجرجانى فى ترجيح مذهبه : (واستقصى محمد بن جرير الطبرى الشروط فى كتاب على أصول الشافعى وسرق أبو جعفر الطحاوى من كتابه ما أودعه كتابه وأوهم أنه من منتجات أهل الرأى) فدليل على صواب ما ادعاه الفخر الرازى من أهل مذهبه فيه من أنه « كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه » ـ راجع رسالة الرازى فى مناظرته لأهل ما وراء النهر ـ فهل كان ابن جرير مصرى الدار يساكن الطحاوى حتى يتمكن الطحاوى من سرقة كتاب ابن جرير فى الشروط ؟ وكتب الطحاوى فى الشروط على مذهب أصحاب أبى حنيفة أفهل كان الكتاب المسروق مؤلفا على مذهب أبى حنيفة ؟! فان كان ابن جرير كتب كتابا فى الشروط فانما يكتبه على مذهبه الخاص لأنه مجتهد مطلق مستقل لا على مذهب أبى حنيفة ولا على مذهب الشافعى ودار ابن جرير فى طبرستان فى حوض بحر الخزر مدة وفى بغداد مدة ، وبعدهما عن مصر معلوم فيكون يتصور

أن يسرق أحدهما من الآخر خلسة ؟! وليس بين وفاتيهما مدة كبيرة تسع لاخفاء السرقة ، على أكبر تنزيل ، على أن كتاب الشروط المعزو الى ابن جرير باسم (أمثلة العدول) مما لا وجود له بين تراث السلف الا فى كتب التراجم . وأما كتب الشروط للطحاوى من صغير ومتوسط وكبير فمعروفة شرقا وغربا متداولة فى أيدى العلماء . ثم ان ابن جرير أطال المقام فى طبرستان وعندما عاد الى بغداد كان مقهورا تحت سلطان الحشوية ببغداد يرمون بيته بأحجار ، ولا يتمكن من المحافظة على نفسه الا بحرس من الحكومة ، ويضطر فى بعض الأحوال أن يدفن بعض كتبه مثل اختلاف الفقهاء فلم يكن حرا طليقا فى نشر العلم فى عهد سطوة الحشوية وطال ذلك العهد هناك ، وأما الطحاوى فى مصر فكان موفور الكرامة يجله الكبير والصغير ويوالى القضاة الاستعانة بغزير علمه فى الفقه والحديث والتوثيق وتسجيل الشروط حتى سارت بتصانيفه وأنبائه الركبان فى جميع البلدان شرقا وغربا . أمثلة يكون فى حاجة الى السرقة فى علم الشروط ؟ وقد تلقى علم الشروط من أمثال القاضى بكار[1] ، وبن أبى عمران ، وأبى خازم عبد الحميد[2] أصحاب أئمة علم الشروط بالبصرة والكوفة وبغداد ، فمهما أبعد بعض العلوم عن الحنفية لا يمكن ابعاد علم الشروط والتوثيق عنهم فانهم أئمة هذا العلم من عهد أبى يوسف وقبل عهده ، وما جرى بين ابراهيم بن الجراح وبين حماد بن زيد مسجل فى موضعه ، وقول يحيى بن أكثم فى شروط هلال الرأى وغيره من أهل البصرة معروف[3] ومن أحاط علما بذلك كله لا يتردد لحظة

(1) وله كتاب الشروط وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب الوثائق والعهود وكتاب النقض على الشافعى (ز) .

(2) وله كتاب المحاضر والسجلات وكتاب أدب القاضى وكان حاذقا فى عمل المحاضر والسجلات (ز) .

(3) يوسف بن خالد السمتى صاحب أبى حنيفة هو أول من وضع كتاب الشروط وأول من جلب رأى أبى حنيفة الى البصرة فيما ذكره الساجى كما فى تهذيب التهذيب ، وقال ابن المدينى : يوسف بن خالد سقط حديثه من أجل الكلام كما ذكره عبدالله الأنصارى بسنده فى ذم الكلام ويعلم من ذلك أن اشتغال المرء بالكلام كان اذ ذاك يعد مسقطا لحديثه . وهذا من أغرب الموازين . راجع ما ذكرناه فى أوائل شروط الأئمة (ز) .

فى أن هذا الزعم نسج خيال التعصب وافتعال غير مدبر نسأل الله السلامة، وعلى كل حال فان كتاب أبى عبد الله الجرجانى وكتاب نقضه لأبى منصور عبد القاهر لا يخلوان من غلو واسراف فى القول على جلالة قدر مؤلفيهما، وأصاب ابن الصلاح حيث قال فيهما : (وكل واحد منهما لم يخل كلامه من ادعاء ما ليس له والتشنيع بما لا يؤبه به مع وهم كثير أتيــاه) • سامحهم الله تعالى وايانا بمنه وكرمه •

***

مؤلفات أبى جعفر الطحاوى

أما تصانيف أبى جعفر الطحاوى ففى غاية الحسن والجمع والتحقيق وكثير الفوائد ، ولم تحظ مصر بطبــع شيء منها ســوى رسالة صغيرة سبقتها بلاد فى طبعها ، رغم كون مصنفها من مفاخر وادى النيل ، ولو كان مثل هذا العالم فى الغرب لانتدب أهل الشأن لدراسة كتبه وتحقيقها رجالا خاصة ، بل تراهم يعملون هذا فى بعض رجال الشرق فى حين أننا أصبحنا بعداء عن تقدير مقادير الرجال • أغنياء بما نستقى من أدمغتنا فقط من غير أن نرى حاجــة الى البحث والتنقيب فى التراث الشرقى الفاخر ، مع محاولتنا التجديد فى كل شيء فلو زاحمناهم فى البحث والتعب وراء اجتلاء معارفنا ، وباعدناهم فى الموبقات وصنوف السقوط لانبعثنا من جديد • وما ذلك على الله ببعيد ، فمن مصنفات الطحاوى الممتعة كتاب معانى الآثار • فى المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية يسوق بسنده الأخبار التى يتمسك بها أهل الخوف فى تلك المسائل ، ويخرج من بحوثه بعد نقدها اسنادا ومتنا ، رواية ونظرا بما يقتنع به الباحث المنصف المتبرىء من التقليد الأعمى ، وليس لهذا الكتاب نظير فى التفقيه وتعليم طرق التفقه وتنمية ملكة الفقه رغم اعراض من أعرض عنــه • ولذلك كان الأستاذ المغفور له شيخنا العــلامة محمد خالص الشروانى رحمه الله اختاره فى عداد كتب الدراسة مع الآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى • وكان لأهل العلم عناية خاصــة بتدريس كتاب معانى الآثار

وروايته وتلخيصه وشرحه والكلام فى رجاله ، فمن شراحه الحافظ أبو محمد المنبجى مؤلف اللباب فى الجمع بين السنة والكتاب — وقطعة من شرحه موجودة فى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة — ومنهم الحافظ عبد القادر القرشى صاحب الحاوى فى تخريج أحاديث معانى الآثار للطحاوى — وقطعة منه موجودة بدار الكتب المصرية — وذكر القرشى فى قسم الجامع من طبقاته (٤٣١) سبب تأليفه . وقال : كان ذلك باشارة شيخنا الحجة علاء الدين المارديني لما سأله بعض الأمراء عن ذلك الوقت وقال له عندنا كتاب الطحاوى فاذا ذكرنا لخصمنا الحديث منه يقولون لنا : ما نسمع الا من البخارى ومسلم — فى كلام نحو هذا — فقال له شيخنا : والأحاديث التى فى كتاب الطحاوى أكثرها فى البخارى ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحفاظ — فى كلام نحو هذا — فقال له الأمير : أسألك أن تخرجه وتعزو أحاديثه الى هذه الكتب فقال له شيخنا : ما أتفرغ لذلك . ولكن عندى شخص من أصحابى يفعل ذلك وتكلم معه رحمه الله فى الاحسان الى وعظمنى عنده وجعلنى أمة فى هذا العمل . فحملنى الى الأمير وأحسن الى وأمدنى الأمير بكتب كثيرة كالأطراف للمزى وتهذيب الكمال له وغيرهما وشرعت فيه وكان ابتدائى فيه سنة (٧٤٠هـ) وأمدنى شيخنا بكتاب لطيف فيه أسماء شيوخ الطحاوى وقال لى : هذا يكفيك من عندى فحصل لى النفع العظيم أ هـ — الى آخر ما ذكره هناك ، وطريقته فى التخريج أنه يتكلم على أسانيده ويعزو أحاديثه وأسناده الى الكتب الستة والمصنف لابن أبى شيبة وكتب الحفاظ وهكذا . فخدم خدمة عظيمة فى هذا الباب ، ومن شراح الكتاب البدر العينى الحافظ ، وقد عنى بتدريسه سنين متطاولة فى المؤيدية — وكان المؤيد شيخ ملما بالعلم يناقش العلماء فى العلى حتى جعل لهذا الكتاب كرسيا خاصا فى جامعته كباقى أمهات كتب الحديث وعين لهذا الكرسى البدر العينى . فقام البدر بتدريس هذا الكتاب خير قيام مدة مديدة وألف شرحين ضخمين فخمين صورة ومعنى . أحدهما

نخب الأفكار فى شرح معانى الآثار • ويتعرض لتراجم رجال الكتاب فى صلب هذا الشرح كما فعل فى شرح صحيح البخارى • وهذا من محفوظات دار الكتب المصرية فى ثمانيـة مجلدات بخط المؤلف وبهـا خروم • وتوجد بعض أجزاء منه فى مكتبة أحمـد الثالث فى طوبقبو ومكتبة (عموجة حسين باشا) بالآستانة • وألشرح الاخر هو مبـانى الأخبار فى شرح معـانى الآثار للبدر العينى • وهو محفوظ فى دار الكتب المصرية بخط المؤلف فى ستة مجلدات • وهو خلو من الكـلام فى الرجال حيث أفردهم فى تأليف سـماه معانى الأخيار فى رجال معانى الآثار فى مجلدين مع نقص فى نسخة دار الكتب المصريه ، يستدرك من نسخة مكتبة رواق الأتراك فى الأزهر الشريف• وخدمة البدر العينى لمعانى الآثار لا تقل عن خدمته لصحيح البخارى والله سبحانه يكافئه على تلك الخدمات الجسيمة ولا سيما فى تحقيق أحاديث الأحكام • وممن لخص معانى الآثار حافظ المغرب ابن عبد البر وبه امتلأ قلبه اجلالا للطحاوى ويكثر النقل عنه فى كتبه ولا سيما للتمهيد • ومن لخصه أيضا الحافظ الزيلعى صاحب نصب الراية • وملخصه محفوظ بمكتبة رواق الأتراك، ومكتبة الكوبريلى بالآسـتانة وشرحه صاحب اللباب فى الجمـع بين السنة والكتـاب أيضا وهو محفوظ فى مكتبة أيا صوفيا فى الآستانة• ولمحمد بن محمد الباهلى المالكى كتاب تصحيح معانى الآثار محفوظ فى باتكوك كما ذكره بروكلمان ولم أطلع عليه• وكتاب معانى الآثار طبع عدة مرات فى الهند • لكن أين جمال الطبع المصرى من الطبـع الهندى

ياحبذا لو طبعت تلك الكتب مع اعادة طبع المعانى الآثار بمصر بعناية خاصة • ويقول الطحاوى فى صـدر كتاب معانى الآثار (سألنى بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا أذكر فيه الآثار المـأثورة عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحكام التى يتوهم أهل الالحاد والضعفة من أهل الاسلام أن بعضها ينقض بعضا لقلة علمهم بناسـخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لمـا يشهد له من الكتـاب الناطق

والسنة المجتمع عليها . وأجعل لذلك أبوابا ، أذكر فى كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض واقامة الحجة لمن صح عندى قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو اجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم . وأنى نظرت فى ذلك وبحثت عنه بحثا شديدا فاستخرجت منه أبوابا على النحو الذى سأل وجعلت ذلك كتابا ذكرت فى كل كتاب منها جنسا من تلك الأجناس) فبهذا تعلم مبلغ ثقل ما قام بحمله الطحاوى وعظيم مقدار عمله رضى الله عنه وأرضاه .

ومن مؤلفات الطحاوى أيضا بيان مشكل الحديث المعروف بمشكل الآثار فى نفى التضاد عن الأحاديث واستخراج الأحكام منها . وهو من محفوظات مكتبة فيض الله شيخ الاسلام فى اصطنبول تحت أرقام (٢٧٣ — ٢٧٩) فى سبعة مجلدات ضخام . وهى نسخة صحيحة مقروءة من رواية أبى القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة الرعينى عن الطحاوى ، قابلها وصححها ابن السابق المترجم له فى الضوء اللامع . والقسم المطبوع منه فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء ربما لا يكون نصف الكتاب على سقم الطبع ، ومن أطلع على اختلاف الحديث للامام الشافعى رضى الله عنه ومختلف الحديث لابن قتيبة ثم اطلع على كتاب الطحاوى هذا يزداد اجلالا له ومعرفة لمقداره العظيم ، وكم كنا نود لو طبع بمصر تمام الكتاب من النسخة المذكورة وقد اختصر أبو الوليد بن رشد الجد كتاب مشكل الآثار مع بعض اعتراضات منه عليه ، واختصاره محفوظ بدار الكتب المصرية ، واختصر هذا المختصر قاضى القضاة جميل الدين يوسف ابن موسى الملطى من شيوخ البدر العينى فى كتاب سماه (المعتصر من المختصر) فأجاد فى التلخيص والاجابة عما أورده ابن رشد .

وطبع المعتصر بالهند مع الخطأ فى اسم مؤلفه واسم مختصره . وهذا المعتصر نافع أيضا[1] .

واختلاف العلماء للطحاوى فى نحو مائة وثلاثين جزءا حديثيا . وقد اختصره أبو بكر الرازى . واختصاره هو الموجود فى مكتبة جار الله ولى الدين فى اصطنبول ، وأما الأصل فلم أظفر به ، وأما القطعة الموجودة بدار الكتب المصرية فهى من مختصر اختلاف علماء الامصار لأبى بكر الرازى وان نسبت غلطا الى الطحاوى ، وفى المختصر يذكر أقوال الأئمة الأربعة وأصحابهم وأقوال النخعى وعثمان البتى والأوزاعى والثورى والليث بن سعد وابن شبرمة وابن أبى ليلى والحسن بن حى وغيرهم من المجتهدين الأقدمين الذين صعب اليوم الاطلاع على آرائهم فى المسائل الخلافية ، فياليت الأصل بحث عنه وعن مختصره وطبع هو أو مختصره ، أو كلاهما .

وأحكام القرآن للطحاوى فى نحو عشرين جزءا . ويقول القاضى عياض فى الاكمال ان للطحاوى ألف ورقة فى تفسير القرآن ، وذلك هو أحكام القرآن له . وللطحاوى أيضا كتاب الشروط الكبير فى التوثيق فى نحو أربعين جزءا وقد طبع بعض المستشرقين جزءا منه ، وتوجد قطعة منه فى مكتبة على باشا الشهيد وأخرى فى مكتبة مراد ملا باصطنبول . من غير أن تتم بهما نسخة كاملة . وله أيضا الشروط الأوسط ومختصر الشروط له فى خمسة أجزاء محفوظ فى مكتبة شيخ الاسلام فيض الله وتدل تلك الكتب على براعة الطحاوى البالغة فى علم الشروط والتوثيق مهما تضايق من ذلك الأستاذ عبد القاهر التميمى .

---

(١) وممن اختصر مشكل الآثار ابن خلف الباجى ومختصره فى المتحف البريطانى وهو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الامام المشهور ، ووهم بروكلمان فسماه سعيد بن خلف (ز) .

ومختصر الطحاوى فى الفقه فى المذهب على شاكلة مختصر المزنى فى مذهب الشافعى وهو محفوظ بمكتبة الأزهر ومكتبتى جار الله وفيض الله بالآستانة ولمختصر الطحاوى شروح أقدمها وأهمها شرح أبى بكر الرازى الجصاص غاية فى الاتقان دراية ورواية . قطعة منه توجد بدار الكتب المصرية والباقى فى مكتبة جار الله بالآستانة . ومنها شرح أبى عبد الله الحسين بن على الصيمرى ومنها شرح شمس الأئمة السرخسى : قطعة منه توجد فى مكتبة السليمانية والباقى فى مكتبة (شهزاده) بالآستانة . ومنها شرح أبى نصر أحمد بن محمد المعروف بالأقطع شارح مختصر القدورى ومنها شرح أبى نصر أحمد بن منصور الخجندى الاسبيجابى الكبير . ومنها شرح بهاء الدين على بن محمد السمرقندى الاسبيجابى الصغير . وهما موجودان فى عدة مكتبات فى الآستانة . والكبير فى مكتبة على باشا الشهيد . والصغير فى مكتبة بنى جامع . ومنها شرح أحمد بن محمد بن مسعود الوبرى وله غير ذلك من الشروح .

وله أيضا النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء . وكتاب النوادر والحكايات فى نحو عشرين جزءا . وله جزء فى حكم أرض مكة . وجزء فى قسم الفىء والغنائم .

وله الرد فى خمسة أجزاء على كتاب المدلسين لأبى على الحسين ابن على الكرابيسى الذى أعطى حججا الأعداء أهل السنة بكتاب هذا حيث حاول فيه توهين الرواة من غير أهل مذهبه ليحيا هو فقط ومذهبه. وكلمة أحمد فى كتاب الكرابيسى هذا مذكورة فى شرح علل الترمذى لابن رجب فالطحاوى سد هذه الثلمة برده على الكرابيسى مشكورا فضله ، وقد ذكر كتاب المدلسين هذا الامام أحمد فذمه ذما شديدا . وكذلك أنكر عليه أبو ثور وغيره من العلماء قال المروزى : مضيت الى

الكرابيسي وهو اذ ذاك مستور يذب عن السنة ويظهر نصرة أبي عبد الله فقال لي أن أبا عبد الله رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق وقد رضيت أن يعرض كتابي عليه قال وقد سألني أبو ثور وابن عقيل وابن حبيش أن اضرب على هذا الكتاب فأبيت عليهم وقلت بل أزيد فيه ما سنح في ذلك وأبى أن يرجع عنه فجيء بالكتاب الى أبي عبد الله وهو لا يدري من وضع الكتاب وكان في الكتاب الطعن على الأعمش والنصرة للحسن ابن صالح وكان في الكتاب : أن قتلم أن الحسن بن صالح كان يرى رأي الخوارج فهذا ابن الزبير قد خرج فلما قرىء على أبي عبد الله قال هذا قد جمع للمخالفين ما لم يحسنوا أن يتبجحوا به حذروا عن هذا ونهى عنه أ هـ . وقال ابن رجب : وقد تسلط بهذا الكتاب طوائف من أهل البدع في الطعن على أهل الحديث وكذلك بعض أهل الحديث ينقل منه دسائس اما يخفى عليه أمرها أو لا يخفى كيعقوب الفسوي وغيره أ هـ . وعلى مثل هذا الكتاب الخطر رد الطحاوي ردا موفقاً يشكر عليه . وله أيضا كتاب الأشربة حمله هشام الرعيني الى المغرب فيما حمل من كتب الطحاوي . وله أيضا جزءان في الرد على عيسى بن أبان من أصحاب محمد بن الحسن . وجزء في الرد على أبي عبيد في النسب . وجزءان في اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين وجزء في الرزية . وله شرح الجامع الكبير للامام محمد بن الحسن الشيباني وشرح الجامع الصغير له أيضا . وكتاب المحاضر والسجلات . وكتاب الوصايا والفرائض وكتاب التاريخ الكبير . قال ابن خلكان : وله تاريخ كبير ولقد اجتهدت في تحصيله غاية الاجتهاد وما ظفرت به وكل من سألت عنه من أهل هذا الشأن جهلوا به أ هـ . لكن نرى كتب الرجال مكتظة بالنقل عنه . وله أيضا أخبار أبي حنيفة وأصحابه . وهو الذي يسميه بعضهم بمناقب أبي حنيفة . وله أيضا كتاب في النخل وأحكامها وصفاتها وأجناسها وما روى فيها من خبر في نحو أربعين جزءا وله العقيدة المشهورة[1] المسماة (بيان اعتقاد أهل

---

(١) عقيدة لها شروح منها شرح نجم الدين أبي شجاع بكبرس =

السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة وأبى يوسف الأنصارى ومحمد بن الحسن) رحمهم الله . وله جزء فى التسوية بين حدثنا وأخبرنا . وقد لخصه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله وله أيضا كتاب سنن الشافعى جمع فيه ما سمعه من المزنى من أحاديث الشافعى عرفانا لجميله . والشافعية يروون تلك الأحاديث بطريقه كما سبق وللطحاوى كتاب (صحيح الآثار) محفوظ فى مكتبة باتنا كما ذكره بروكلمان ولم اطلع عليه .

وقد ألف ابن قطلوبغا الحافظ جزءا فى عوالى حديث الطحاوى وسمعه عند قبره وفعل مثل ذلك مع الليث بن سعد وبكار القاضى . والثلاثة محفوظة فى مكتبة برلين كما فى بروكلمان .

وتلك شذرة من فضائل هذا الامام الجليل . وهذا القدر من البيان كاف فى هذا الشأن .

بعض أسانيد أهل العلم فى كتب الطحاوى

فرواية المشارقة لكتاب معانى الآثار للطحاوى بطريق الحافظ أبى بكر محمد بن ابراهيم المقرىء الحنبلى صاحب مسند أبى حنيفة ومؤلف المعجم المشهور وبطريق أبى الفضل محمد بن عمر الترمذى كلاهما عن الطحاوى وأما رواية المغاربة فبطريق أبى القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة الرعينى عن الطحاوى . وهو حمل اليهم كتاب

= الناصرى البغدادى من شيوخ الشرف الدمياطى ومنها شرح السراج عمر بن اسحاق الغزنوى ثم المصرى ومنها شرح محمود بن أحمد بن مسعود القونوى . ومنها شرح الصدر على بن محمد الأذرعى . وتلك الشروح توجد فى الخزانات بكثرة ولها شراح سوى ذلك . وطبع شرح لمجهول ينسب الى المذهب الحنفى زورا ينادى صنع يده بأنه جاهل بهذا الفن وأنه حشوى مختل العيار (ز) .

بيان مشكل الحديث المعروف بمشكل الآثار وكتاب الأشربة للطحاوى أيضا كما يظهر من فهرس أبى بكر بن خير الاشبيلى (٢٠٠ و ٢٦٢) وقد أطال السخاوى بيان ذكر أسانيده المتشعبة فى معانى الآثار سماعا ، لخصها المحدث عبد القادر بن خليل المدنى خطيب المنبر النبوى المعروف بكدك زاده فى كتابه (المطرب المعرب الجامع لأسانيد أهل المشرق والمغرب) وساق أسانيد جمع من شيوخه الى الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى سماعا عليه ثم ذكر أسانيد السخاوى جماعة عن جماعة فى الكتاب الى الطحاوى رضى الله عنه ويطول الكلام لو نقلناها كلها فليرجع من شاء الى المطرب المعرب وهذا الثبت أرويه مكاتبة عن المحدث المعمر الحسين بن على العمرى اليمانى عن أحمد بن محمد بن يحى السياغى الصنعانى عن الحسن بن أحمد بن يوسف الرباعى الصنعانى عن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأمير عن جامعه عبد القادر ابن خليل (ح) وأرويه مشافهة عن القاضى أبى طلحة محمد صدر الدين عن محمد بن سليمان الجوخدار عن سعيد الحلبى عن اسماعيل بن محمد المواهبى عن عبد القادر بن خليل المذكور . وساق البدر العينى فى شرح سنده رواية عن الزين تغرى برمش الفقيه عن الجلال الخجندى عن العفيف عبد الله الغبادى عن عبد الرحمن بن عبد الولى اليلدانى عن الضياء المقدسى والخشوعى ومحمد بن عبد الهادى عن أبى موسى المدينى سماعا على اسماعيل بن الفضل السراج عن أبى الفتح منصور ابن الحسن بن على عن أبى بكر بن المقرى عن الطحاوى ثم ساق العينى سنده بطريق العز بن جماعة وسندى اليه فى الاثبات التى رويتها فى التحرير الوجيز — راجع المعجم المفهرس لابن حجر واتحاف الأكابر وثبت محمد الأمير المصرى وغيرها . وساق أبو الوليد محمد بن رشد الجد سنده فى كتاب مشكل الحديث للطحاوى قائلا حدثنى به أبو على الحسين بن محمد الغسانى قال أخبرنا أبو عمر أحمد بن يحيى بن الحارث قال أخبرنا أبى قال أخبرنا أبو القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة

الرعينى عن أبى جعفر الطحاوى ، وأما العقيدة فقد قرأها عبد القادر القرشى على بدر الدين محمد بن منصور الجوهرى سماعا من بدر الدين محمد بن أيوب بن عبد القاهر الحلبى سماعا من ابن العديم أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله قال أخبرنا أبو الخطاب عمر بن ايامك أنا الشريف النسابة محمد بن أسعد بن على الحسينى حدثنا أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب بن أحمد بن المقرى أخبرنا أبو الحسن العكلى قال أخبرنا أحمد بن القاسم بن ميمون العبيدلى أخبرنا جدى ميمون بن حمزة العبيدلى عن شيخه الطحاوى المؤلف رحمهم الله تعالى وايانا وغفر لنا ولهم ونفعنا بعلومهم . وكان عندى نسخة من العقيدة المذكورة بخط ابن العديم السابق ذكره وعليها تسميعات متوالية ، وهو معروف باجادة الخط المعروف بالمنسوب فغرقت مع ما كنت أستصحبه من الخطوط النادرة وسائر الكتب فى حادث انقلاب مركبنا فى البحر الأسود تجاه (آقجة شهر) فى أحلك أيام الشتاء بهياج البحر ، وأنجانا الله سبحانه من الغرق المحقق بمحض فضله سنة ١٣٣٦ هـ أثناء عودى من قسطمونى الى الآستانة ولله الأمر وله الحكم : وذكر الكورانى سنده فى عقيدة الطحاوى فى الأمم (٩٠) بطريق الشرف الدمياطى الى أبى بكر الدامغانى عن الطحاوى . ولو أخذت أسرد أسانيدى الى الاثبات التى ترفع أسانيد كتب الطحاوى اليه لطال ذلك وأمل فلنكتف بهذه الالمامة اليسيرة .

***

وفاة الطحاوى ومدفنه وبعض أسرته

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة الطحاوى : (أنه توفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ليلة الخميس مستهل ذى القعدة بمصر ، ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها) • وقال البدر العينى فى نخب الأفكار : (رأيت فى مجموع جمعه بعضهم عن علماء مصر ، يذكر أماكن وبقاعا من مصر وبعض علمائها يقول فيه : ان قبر أبى جعفر الطحاوى اذا جاوزت الخندق على يمين الطالع الى مسجد محمود وهو قبر كبير مشهور) أقول ان الكلام فى الخندق ومسجد محمود طويل وهما مشهوران فى التاريخ وكتب الخطط • ولكن تغيرت معالى ذلك العهد • وقبر الطحاوى اليومى يعرف بأنه فى شارع على يمين الشارع السالك الى الامام الشافعى موازياً له عند منتهى الترام الموصل الى الشافعى • ففى الشارع الأيمن الموازى لشارع الشافعى يوجد ضريح الطحاوى على اليمين تحت قبة أثرية حذاء شارع الطحاوية الذى هو على اليسار فى منتهى الترام • وعلى قبره شاهد مكتوب عليه تاريخه وعليه مهابة • وتحت القبة موضع خال لا شاهد عليه • ويظهر أن السيد أحمد الطحاوى مدفون هناك • حيث كان طلب فى حياته أن يسمح بدفنه هناك من المشرف على ضريح الطحاوى اذ ذاك — وهو المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى فسمح له بذلك كما فى تاريخه المشهور عند ترجمة الطحاوى • والأزد بفتح فسكون قبيلة مشهورة من قبائل اليمن • والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من قبيلة الأزد • وهذه غير أزد شنوءة ويقال للأولى أزد الحجر تمييزاً لها عن الثانية • والطحاوى منسوب الى أزد الحجر هذه • وفى طحا اختلاف لكن الصواب فيما يظهر أن طحا التى نسب الطحاوى هى طحا أشمونين • وينسب الطحاوى جيزيا أيضا لسكناه بالجيزة • وكان أبوه من أهل الدين والخير وسمع الطحاوى من أبيه أيضا ووفاة والده كانت سنة ٢٦٤ هـ عام وفاة والده خاله اسماعيل المزنى • وأما ابنه على بن أحمد الطحاوى فمن أهل

الفضل والنبل أيضا تخرج على والده فى العلوم .وحكى القضاعى أن أبا الحسن على بن أحمد الطحاوى كان يشرف مع رفيق له على بناء مسجد بالجيزة بأمر الاخشيد واشارة الكافور ولما احتاجوا الى عمد للجامع أخذ رفيقه من عمد كنيسة بالجيزة من غير علم أبى الحسن وأقر ذلك أهل الشأن فترك أبو الحسن الطحاوى الصلاة فيه فيدل هذا على أن هذا الشبل من ذاك الأسد . وتوفى أبو الحسن الطحاوى فى ربيع الآخر سنة ٣٥١ هـ كما فى تاريخ ابن الطحان فى ظاهرية دمشق(١) . وترجم أبو المحاسن للطحاوى فى النجوم الزاهرة وقال : كان امام عصره بلا مدافعة فى الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو وصنف المصنفات الحسان وكان من كبار فقهاء الحنفية أ هـ رحمه الله وأعلى مقامه فى الجنة ونفعنا بعلومه . وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة بتوفيق الله سبحانه عصر يوم الثلاثاء ٢٤ من شهر شعبان المبارك من سنة ١٣٦٨ هـ بقلم الفقير اليه سبحانه محمد زاهد الكوثرى خادم العلم فى اصطنبول سابقا .

غفر الله لى ولوالدى ولمشايخى ولسائر المسلمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) وفى تاريخ ابن الطحان ما نصه : (على بن أحمد بن سلامة بن سلمة الازدى الطحاوى أبو الحسن ، يروى عن النسائى وغيره حدثونا عنه ، توفى فى ربيع الاخرى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة أ هـ) على ما نقله لى الأخ العزيز الأستاذ الأديب السيد سعيد الافغانى الدمشقى فأشكره على تفضله بذلك (ز) .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٣٤١٢

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست .. تيبو
الأزهر : ٣ حيضان الموصلي بجوار جامع الدعاء
ت : ٥١١٥٣٠٤